ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر
(دراسة تاريخية أثرية)

د/ لطيفة بورابة•

أنشئت في مدينة الجزائر العديد من الزوايا والأضرحة في الفترة العثمانية. وكانت تؤدي دورا اجتماعيا ودينيا، و اقتصاديا هاما لدرجة أصبحت بعض الحومات (الأحياء) داخل المدينة تسمى باسمها: مثل حومة سيدي هلال و حومة سيدي رمضان، وحومة سيدي الفاسي وغيرها.
و يمكن تمييز نوعين منها: زوايا الأضرحة أي تلك التي تضم أضرحة الأولياء الصالحين، مثل زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية عمر التنسي و غيرهما.
و الزوايا التي لا تضم أضرحة الأولياء، وقد تم تأسيسها لأغراض محددة: كزاوية كجاوة و هي خاصة بالتعليم و زاوية الأشراف (الشرفة) [1] و التي تخص فئة الأشراف و غيرهما.

وقد تضاعف عدد الأضرحة والزوايا في مدينة الجزائر منذ أواخر القرن السادس عشر، حيث ذكر محمد بن علي التمغروطي الذي زار وأقام فيها مدّة شهرين بعد عودته من سفارته من استانبول بين ١٥٨٩م و ١٥٩٠م قائلا: « أن في هذه المدينة قبر الولي الصالح، أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي وقبر الولي الصالح أبي العباس أحمد بن عبد الله الجزائري، وقبر الولي الصالح أبي النور، كذا يقال له عند أهل البلد، وهو الذي يوجد قبره في رأس الجبل، إلى أن يقول:.. و فيها غيرهم من الصالحين» [2].

• أستاذة محاضرة بمعهد الآثار - جامعة الجزائر-٢- بوزريعة

[1] - تقع في شارع الجنينة وزنقة بروس، يرجع بناؤها إلى عهد الداي محمد بكداش(أوائل القرن الثامن عشر)، الذي أمر ببنائها تقربا إلى الأشراف، ورجال الدين في الجزائر، وكانت لها مقبرة، ومسجد، وأرض، ومساكن، ومطاهر، وأوقاف ، صادرها الفرنسيون سنة ١٨٤١م، واستولوا عليها ، ثم هدموها، أنظر: - أبو القاسم سعد الله؛ تاريخ الجزائر الثقافي ١٨٣٠- ١٩٥٤، ج٥، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٥، ط١، ص١١٥

[2] - ياسين بودريعة؛ أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني، من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، مذكرة الماجستير تخصص تاريخ حديث، السنة الجامعية ٢٠٠٦-٢٠٠٧، ص. ٧١

١- ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي[٣]:

هو أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف بن طلحة بن عمر بن نوفل بن عمار بن منصور بن محمد بن سباع بن مكى بن ثعلبة بن موسى بن سعيد بن معضل بن عبد البر بن فيس بن هلال بن عامر بن حسن بن محمد بن جعفر بن أبي طالب عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤]. ولد سنة ٧٨٦ هـ/١٣٨٥م بواد يسر في الجنوب الشرقي لمدينة الجزائر [٥].

ينتسب الشيخ العلامة عبد الرحمن الثعالبي، إلى قبيلة الثعالبة،[٦] التي قطنت سهل متيجة، وبقيت محافظة على سيادتها حتى نهاية القرن الثامن الهجري، ثم بدأت تفقد أعيانها في عهد أبي حمو الثاني أمير بني عبد الواد، جرّاء الصراعات الداخلية التي عرفتها المنطقة، فأُبيد عدد كبير منهم ، وحُوّل آخرون إلى عبيد [٧].

ويعتبر الولي الصالح سيدي عبد الرحمن أشهر فقهاء الجزائر، ففي بداية القرن التاسع الهجري رحل إلى المشرق للدراسة، و توقف في مدينة بجاية سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م، والتقى بأصحاب الشيخ عبد الرحمن الوغليسي، وأخذ عنهم أصول الفقه، ومن بجاية ذهب إلى تونس في أواخر سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م، حيث التقى بالشيخ عيسى الغبريني الأوبي البرزلي وغيرهما من الفقهاء. ثم ذهب إلى القاهرة، وهناك درس على يد الشيخ ولي الدين العراقي

---

[٣] - تناولت معظم المصادر التاريخية شخصية هذا الولي الصالح وضريحه، باعتباره أحد المزارات الكبرى في المدينة، كما أن هناك العديد من المراجع التي خصصت دراسات مفصلة عن شخصيته، أو عن ضريحه، بالإضافة إلى الكتابات الأثرية الموجودة داخل ضريحه.

[٤] - حسب الكتابة الأثرية التي تزين ضريح سيدي عبد الرحمن، داخل قاعة الصلاة، أنظر؛
Gabriel Colin; Corpus des inscriptions Arabes et Turques de l'Algerie, Ernest Leroux, Paris, - 1901,n° 5, p.9

[٥] - محمد بن ميمون الجزائري؛ التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية،تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،١٩٨١،ص ٣٣٤ ياسين بودريعة؛ المرجع السابق، ص ٣٨.

[٦] - الثعالبة بطن من بطون قبيلة صنهاجة من طبقة بني ملكان بن كرت من بني علي بن بكر بن صغير، موطنهم بمتيجة من بسيط الجزائر، بعد نزوحهم من جبال التيطري، ولكنهم زحزحوا منها إلى متيجة، ودخل الثعالبة في ايالة مليكش من صنهاجة بمتيجة ،(لمزيد من التفاصيل أنظر؛ عبد الرحمن بن خلدون؛ تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان العبر والمبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج٥، تحقيق خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠ ، ص.٨٤)

[7] - Albert Devoulx; Les édifices religieux de l'ancien Alger, Alger, Typographie Bastide, pp 37, 38

أغلب علوم الفقه خاصة الحديث والسنة، ومنحه الإجازة، وبعد أدائه فريضة الحج في مكة أقام علاقات مع فقهاء بارزين. وفي طريق عودته درس على يد العلامة التونسي الإمام أبي عبد الله محمد بن مرزوق، والذي أجازه لتدريس معظم الفروع العلمية [٨].

و من أهم مؤلفاته: روضة الأنوار ونزهة الأخيار، والجواهر الحسان في تفسير القرآن[٩]، ويُعد من أشهر مؤلفاته، ورياض الصّالحين وتحفة المتّقين، وشرح مختصر ابن الحاجب، والأنوار في آيات النبي المختار، والتقاط الدرر[١٠]، الدّرّ الفائق المشتمل على أنواع الخيرات في الأذكار والدعوات(ألفه سنة ٨٥١هـ)، والعلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة، وغيرها، بالإضافة إلى ما يزيد عن ثلاثين مؤلفا آخر [١١].

أما عن ضريحه أو زاويته فقد دفن الشيخ الثعالبي خارج باب الوادي في مقبرة الطلبة.[١٢]

حيث ذكر نور الدين عبد القادر « **دفنوا الشيخ عبد الرحمن الثعالبي خارج باب الواد في مكان مرتفع، جعلوا على ضريحه قبة صغيرة** »[١٣].

ومما توضحه إحدى وثائق المحاكم الشرعية في عدد من عقودها كتلك المتعلقة بحبس لحانوت خارج باب عزون لصالح ضريح عبد الرحمن الثعالبي خارج باب الواد، والمؤرخة بأوائل شعبان ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م، ـ، وهذا نصها: « .....فإن انقرضوا عن آخرهم وأتى الحمام على جميعهم رفيعهم و وضيعهم رجعت إحدى الحانوتتين المذكورتين وهي الثلاثة باعتبار الخارج من الزاوية المذكورة، حبسا على رجلين اثنين احدهما يقرأ سورة الإخلاص والآخر يقرأ الحزب عند صلاة الظهر وعند صلاة العصر كل ذلك **بمسجد الولي الصالح**

---

[8] - Albert Devoulx; Op, Cit,pp 37et 38

- محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص ٣٣٥ و٣٣٦

- أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة؛ معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب، الجزائر، ٢٠٠٠، ص ١٠٧

[٩] - انتهى من تأليفه في ١٥ ربيع الأول من سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م.

[١٠] - انتهى من تأليفه في النصف الثاني من رجب سنة ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م.

[١١] - أمينة سليمة صاري ؛ طبقات الفقهاء المالكية، من خلال مخطوط الجامع الكبير للعلامة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي(ت ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م)، مذكرة ماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، ٢٠١١-٢٠١٢، ص ٦٤إلى ص٧٣

[١٢] - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص ٣٣٧

[١٣] - نورالدين عبد القادر؛ صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، كلية الآداب الجزائرية، ١٩٦٥ ص ١٦٦

البركة سيدي عبد الرحمن الثعالبي نفعنا الله ببركاته أمين، الملاصق بضريحه **خارج باب الواد**. أحد أبواب محروسة الجزائر.....»[١٤].

٢- أوقاف ضريح سيدي عبد الرحمن:

تعتبر زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي من أكبر زوايا مدينة الجزائر، وتذكرها أغلب الوثائق باسم ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي، حيث تم بناؤها على ضريح أحد أشهر أولياء المدينة. و قد أوقف عليها سكان المدينة (حكاما وأعيانا ، وعامة) العديد من العقارات، مما ساهم في تغطية مصاريفها، و نشاطاتها الاجتماعية، و الخيرية. كالوقفية التي قام بتأسيسها الداي أحمد[١٥] لصالح ضريح عبد الرحمن الثعالبي سنة ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م.[١٦]

وكانت فئة الحرفيين أكثر الفئات الاجتماعية اهتماما بالوقف على الأضرحة، والزوايا، نذكر منها وقفية السيد محمد، أمين جماعة الحدادين، حيث قام بوقف دار عام١٢١١هـ/١٧٩٦م ، و كان مرجع الوقف لضريح عبد الرحمن الثعالبي[١٧]. إلى جانب وجود فئة محبسة أوقفت على ضريح سيدي عبد الرحمن كفئة العلماء، و حفظة القرآن، والشرفاء.[١٨] وفي هذا الشأن أشار دوفولكس إلى أن أملاك ضريح سيدي عبد الرحمن بلغت١١ عقارا في القرن ١٢هـ/ ١٨م، لكنه لم يوضح طبيعة هذه العقارات. و بلغت سنة ١٨٣٤م ٦٩عقارا، وارتفع دخلها إلى ٦٠٠٠ فرنك فرنسي تقريبا، و١٣ عقارا معطلا بسبب تحويله لمصالح الإدارة الفرنسية، أو تهديمه من طرفها.[١٩]

ويتطلب تسيير الوقف على الأضرحة تشكيل جهاز إداري يسهر على تسييرها، ويشرف على إدارتها، و يتكون من وكيل يشرف على الضريح، و شاوش، وإمام، وحزابين و غيرهم.[٢٠]

---

١٤ - المحاكم الشرعية، علبة ١٣٢، وثيقة رقم ٢٨

١٥ - تولى أحمد باشا الحكم يوم الجمعة من جمادى الثانية عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م خلفا للداي مصطفى باشا.

أنظر؛ أحمد شريف الزهار: مذكرات أحمد شريف نقيب أشراف الجزائر(١١٦٨-١٢٤٦هـ/١٧٥٤-١٨٣٠ م)، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ١٩٨٠ م، ص ٩٥.

١٦ - ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص..٧٨

١٧ - ياسين بودريعة ، نفس المرجع، ص١٣٠

١٨ - نفسه، ص ١٣٨

19 - Albert Devoulx,Op, Cit,p.42

٢٠ - ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص ١٦٩

وكانت زاوية ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي قبل سنة ١٨٣٠م تتكون من: وكيل، وشاوش وثلاث أئمة، وثلاثة حزابين، وذباح، ووكيلة، إلى جانب شيخ الحضرة الذي يرأس الاجتماعات الخيرية.[٢١]

٣-اعتقادات أهل مدينة الجزائر في الأولياء الصالحين:

شيّد أهل مدن المغرب هذه الأضرحة بسبب انتشار اعتقادات **حماية الأولياء الصالحين لمدنهم**. فكانت كل مدينة تحتمي بولي صالح، من العين ومن الغارات ، ومن نكبات الطبيعة، فمدينة تلمسان كانت تحتمي بسيدي أبي مدين، ومدينة الجزائر بسيدي عبد الرحمن الثعالبي، فهو السيف وسور حرمها، كما جاء في القصيدة الشعبية التي خلدت انتصار الجزائريين على الحملة الدانمركية على المدينة في سنة ١٧٧٠م، وهذه مقتطفات منها:

أولهم سيدي الثعالبي * وهو السيف وسور حرمها
في حماه البهجة مشرفة * وبجاه مصطفانا[٢٢]

وكان أهل هذه المدينة، إذا هاجمهم عدو، ينبشون قبور الأولياء، و يأخذون عظامهم، و يقصدون البحر، يضربونه بها، فيهيج، ويحطم سفن العدو.[٢٣]

هذا إلى جانب اعتقاد الناس ببركة الأولياء، و قدرتهم على **شفاء المرضى** ، فكانت زيارة الأضرحة للاستشفاء، يقصدها الناس لمعالجة مختلف الأمراض: كالأمراض العضوية كمرض الحمى، و رمد العين(ophtalmie)، والصداع النصفي و شفاء العقم بالنسبة للنساء، و الأمراض النفسية كالجنون والعين.[٢٤]

وتخصصت الأضرحة في علاج أنواع من الأمراض دون الأخرى، فكان ضريح سيدي علي الزواوي[٢٥] يحتوي على عين ينبثق منها الماء بغزارة، يعتقد أنها تساعد في شفاء الحمى المتكررة، والمحافظة على استمرار الإنجاب، والأمانة الزوجية.[٢٦]

---

21 - Albert Devoulx,Op, Cit,p.42

٢٢ - عائشة غطاس؛ الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر ١٧٠٠-١٨٣٠مقاربة اجتماعية-اقتصادية، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار- الرويبة، ص ١٢٢، ١٢٣

٢٣ - ياسين بورديعة، المرجع السابق، ص. ٨٠و٨١

24 - « Les marabouts guérisseurs» In BSGO, n° 44,p.295 Abou-beckr Abdesmém Ben choaib;

٢٥ - كان يقع خارج باب عزون (من أبواب مدينة الجزائر)، وقد أسندت مهمة الإشراف عليه عائلة بوخدمي، وكان يضم أيضا مسجدا صغيرا، ومقبرة، و قامت الإدارة الفرنسية بتهديم هذه المؤسسة بعد احتلالها للمدينة سنة ١٨٣٠،، أنظر:

207 Albert Devoulx,Op, Cit,p²

26 - Ibid, p. 207

وضريح يحي الطيار، يختص بشفاء الحمى و"المس". وأوراق شجرة الخروب الموجودة في مقبرة ضريح عبد الرحمن الثعالبي تشفي الحمى. [٢٧]

وهناك جانب آخر غير الأوقاف، و الزيارات، التي تعبر عن مدى **احترام أهل مدينة الجزائر لأوليائهم**، وهي التحيات التي يقدمها رياس االبحر عند خروجهم من مدينة الجزائر، و عند عودتهم إليها. حيث ذكر شريف الزهار نقيب أشراف الجزائر في مذكراته « **وكان من عادة رؤساء المراكب الجهادية أنهم يوم السفر يودعون الأمير، وبعد الخروج من عنده يذهبون لزيارة الولي الصالح القطب الناصح، سيدي عبد الرحمن الثعالبي نفعنا الله به، ثم يذهبون لزيارة الولي الصالح سيدي علي العباسي نفعنا الله به، أمين.** »[٢٨]

زيارات الأضرحة:

كان لأضرحة الأولياء بمدينة الجزائر، خلال العهد العثماني، دور كبير في سلوك عدد كبير من أفراد المجتمع[٢٩] ، و ساهم في تعلقهم بها، و زيارتها في مواعيد مختلفة، للدعاء أو طلب الشفاء، أو الوفاء بنذر، و ما إلى ذلك. وقد كتب حمدان خوجة في مؤلفه « إنّ المرابطين الذين يقطنون بين القبائل يعلمون الناس الأخلاق و يفسرونها بقدر المستطاع، وبقدر إدراك هؤلاء السكان. كما يعلمونهم الصلاة، ويهدونهم إلى مكارم الأخلاق، ومقابل ذلك يجنون الطاعة المطلقة المحفوفة بالاحترام، وتعتقد القبائل أنّ كل دعائهم مقبول عند الله الذي يؤمنون بقداسته و جلاله. وهكذا، فعلى سخط أو على بركة المرابط تتوقف سعادة القبائل الخيالية.»[٣٠]

أما فيما يخص الزيارات لهذه الأماكن فكانت يومية وفي أي وقت، حيث يستطيع الفرد أن يتوجه للضريح، إما بمفرده أو مصحوبا بأحد أفراد عائلته. و في أثناء الزيارة كانت تقام طقوس معينة في هذه الأضرحة، تعكس هدف الزيارة، سواء لطلب الشفاء، أو لطلب حل مشكلة ما، حيث عادة ما ترافق هذه الزيارات ذبح الدواجن ، أو ذبح حيوانات أخرى كالبقر، أو الكباش، أو الماعز، و غيرها، فبعض الأضرحة كانت تستخدم شخصا لذبح مختلف الحيوانات التي يتم جلبها إلى الضريح. وكانت تعطى له أجرة شهرية. ومن الطقوس التي

---

[٢٧] - ياسين بورديعة ، المرجع السابق، ص ٧٩، ٨٦،٨١

[٢٨] - أحمد شريف الزهار : المصدر السابق، ص ٦١، ياسين بودريعة ، المرجع السابق، ص ٩١

[29] - Jacques Carret; Le maraboutisme et les confreries religieuses musulmanes en Algerie, Alger, 1959, 12, 13,

[٣٠] - حمدان بن عثمان خوجة؛ المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، وزارة الثقافة ، ٢٠٠٧،، ص.٥٦و٥٧

كانت تقام في الأضرحة، الطواف حول الضريح و استعمال البخور والشموع (صورة رقم٥) والشرب من الماء الموجود هناك، سواء كان بئرا أو ماء عنصر. لاعتقاد الزائرين أن هذه المياه مباركة، و لها قدرة خاصة في الشفاء[٣١]

كما حرص سكان مدينة الجزائر على الحصول على **قبور في أضرحة** بعض الأولياء وذلك بشرائها في حياتهم ليدفنوا فيها بعد مماتهم، لاعتقادهم بأن الدفن قرب الولي يوفر لهم الحماية في الآخرة، حيث وردت كتابة في إحدى القبور الموجودة في ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي نصها: " أنا في حماك وحمى القرآن**"**[٣٢]

٤- تأسيس ضريح سيدي عبد الرحمن:

يعتبر ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي من أشهر أضرحة العاصمة ليس في المدينة فحسب وإنما في كل البلاد الجزائرية، وهو يقع في الجهة الشمالية لشارع ابن شنب، بين ثانوية الأمير عبد القادر والسور الشمالي.

وكانت زاوية عبد الرحمن الثعالبي تحتوي على مسجد له منارة أنيقة مربعّة الشكل، وقبة حيث تضم قبر الولي الذي يعلوه تابوت محاط بالأعلام و النذور. و هناك محلات لسكن الوكيل ومستخدمي الضريح، و بيت عبارة عن ملجأ خاص بالأهالي، ومقبرة خاصة، وأخيرا مراحيض و أماكن للوضوء.

و تضم زاوية عبد الرحمن الثعالبي قبور لعدّة شخصيات منهم : قبر شيخه أبي جمعة بن حسين المكناسي (وهو ولي صالح من المشهورين بالعلم و الصلاح و معاصر للولي الصالح سيدي عبد الرحمن الثعالبي ومن شيوخه**)** الموجود داخل الضريح عند أقدام تابوت سيدي عبد الرحمن ، وقبر حسن باشا[٣٣]، وقبر مصطفى باشا [٣٤]،

---

[٣١] - ياسين بورديعة، المرجع السابق، ص.٩٠و٩١

[٣٢] - ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص ٩٣.

[٣٣] - تولى حسن باشا الحكم سنة (١٢٠٥هـ - ١٢١٢هـ/ ١٧٩١م – ١٧٩٨م)، خلفا للداي محمد بن عثمان(١١٧٩هـ- ١٢٠٥هـ/ ١٧٦٦م – ١٧٩١م)، وكان يشغل منصب وكيل للحرج من سنة ١٧٧٥م إلى غاية سنة ١٧٨٨م، ثم أصبح خزناجيا قبل أن يصبح دايا على الجزائر، (أنظر؛- أحمد شريف الزهار: المصدر السابق، ص ٦١ ، و يوسف أمير؛ أوقاف الدايات بمدينة الجزائر وفحوصها من خلال سجلات المحاكم الشرعية، (١٠٨١هـ- ١٢٤٦هـ/ ١٦٧١م- ١٨٣٠م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٩- ٢٠١١، ص ص٨٧)

[٣٤] - هو مصطفى بن ابراهيم الذي تولى الحكم بعد حسن باشا سنة (١٢١٢هـ - ١٢٢٠هـ - ١٧٩٨م- ١٨٠٥م)، أيام السلطان العثماني سليم الثالث، وذكر شريف الزهار نقيب أشراف الجزائر في مذكرته في ذكره لولاية مصطفى باشا الذي كان خزناجيا في عهد خاله الداي حسن باشا مايلي: « ولما توفي حسن باشا، تولى حفيده مصطفى الخزناجي، وكان رجلا =

و قبر عمر باشا[٣٥]. أما خارج الضريح فتوجد قبور كثيرة منها قبر سيدي منصور[٣٦]، وقبر خضر باشا[٣٧]، ويدل على ذلك الكتابة الأثرية المنقوشة على شاهد القبر، جاء في نصها:

هذا القبر المرحوم بكرم// الله المنغمس في رحمة// الله الساير إلى عفو الله// خضر باش غفر الله له توفي آخر ذ الحجة متم//سنت ١٠١٤ فانله الله بعفوه// الجميل وبكرمه الجزيل//[٣٨]

وغيرهم[٣٩] **(صورة رقم ٢)**[٤٠].

شُرع في بناء مسجد ضريح سيدي عبد الرحمن في عهد الداي الحاج أحمد العلج الأتاشي سنة ١١٠٨هـ/ ١٦٩٦م،[٤١] وهذا حسب اللوحة الرخامية المثبتة أسفل الباب - مدخل المسجد- وقد جاء في نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمّد//
تمّ البنا بعون الله عن يده اميرنا ذو الجاه// ان فاق
ارباب السخا والفضل الحاج أحمد بن الحاج مصل//
ارشده الله إلى التوفيق بحرمة الفاروق والصدّيق//
تارخه يا سآئلا بصدق في النظم قد جعلته بشوق//

=صالحا.... »(أنظر:- أحمد شريف الزهار، المصدرالسابق، ص ٧١، و رشيد مريخي؛ الجزائر في عهد الداي مصطفى باشا ١٢١٢هـ- ١٢٢٠هـ/ ١٧٩٨م- ١٨٠٥م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٠-٢٠١١، ص. ١٦)

- وهو ما توضحه الكتابة الشاهدية للقبر ،التي تحتوي على عمود رخامي ، في أضلاعه الخمسة كتابة منفذة بالحفر البارز، وعلى العمود هالة على شكل عمامة

[٣٥] - تولى الحكم خلفا للداي محمد باشا سنة ١٢٣٠هـ- ١٢٣٢هـ / ١٨١٥م- ١٨١٧م)، أنظر؛ أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص١١٧

[٣٦] - حسب الكتابة التي وجدت عند أسفل التابوت الذي يغطي قبر سيدي منصور، والتي نقلها كولان في سجله تشير إلى أنه كان إماما، نصها: « الحمد لله تعلى وصلى الله/ على سيدنا محمد توفي الشيخ الإمام ولي/ ربنا الاعز الأشهر شيخ الهدى إمامنا منصورحف/ به الهناء والسرور في شعبان كانت الوفاة إذ هكذا/ حديث الرواة من عام خمسين ونقط دال من بعد ألف صح في المقال/ ؛ (أنظر؛ ; Gabriel Colin, Op, Cit, n° 24, p. 44)

[37] - تولى الحكم سنة (١٥٩٥م- ١٥٩٦م)، و للمرة الرابع سنة (١٦٢٠م -١٦٢٣م)، (أنظر؛ Mouloud Gaid; l'Algerie sous les turcs; édition Mimouni, Alger, Hichem, 2eme edition, p.112).

[38] - Gabriel Colin, Op, Cit, n° 18, p. 32

[٣٩] - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص.٣٥١
ياسين بودريعة ، المرجع السابق ، ص ٤١

[40]- ٥٥Paul Guion; La casbah d'Alger, Publisud, Paris, 1999,p.

[41] - Albert Devoulx,Op,Cit,,pp 37, 38

عام ثمني وميا والف//»،[٤٢] أي أتم هذا البناء بعنايته و كرمه الحاج أحمد ابن الحاج مصل.

وفُرغ من بناء المسجد في عهد الأمير عبدي[٤٣] سنة ١١٤٢هـ/١٧٢٩م، وهو ما تشير إليه اللوحة الرخامية الموضوعة داخل جدار قاعة الضريح، وهذا نصها:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله//

« كمل البنا بحمد ربّ فاتح • بمحرم يسمو بحسن واضح//
سنة اثنتين وأربعين تعقب • ماية والفا اسرعت كالجامع//
في مدّة الامضا الأمير المرتضا • عبدي وقاه الله كلّ طوايح//
ولقد سعى فيه الوكيل محمّد • الفاضل المشهور بابن الواضح//
الله يعطينا وآياه الرضى • ويقيلنا من كلّ ذنب فاضح//
هما لذات القطب لار ى َ• ركنا لمقهور وقصد الرابح//»[٤٤]

ودُكر في هذه اللوحة الرخامية الثانية اسم الوكيل الذي عمل على تحقيق هذا البناء وهو محمد الفاضل بن الواضح[٤٥] 1108هـ/1696م -1697م.

٥- الدراسة المعمارية لضريح سيدي عبد الرحمن:

تغطي هذه المنشأة المعمارية مساحة قدرت ب ١٤٠٠متر[٤٦]، ويتكون من مربع مركزي مغطى بقبة يقوم على أربعة عقود حائطية كبيرة.[٤٧]

---

42 -Gabriel Colin, Op, Cit,n° 42, p. 69;

٤٣- كردعبدي باشا (١١٣٦هـ- ١١٤٥هـ/ ١٧٢٤م- ١٧٣٢م)، تقلد عدّة مناصب في إيالة الجزائر: باي على بايليك التيطري، ثم آغا الصبايحية لعدّة سنوات، قبل أن يصبح دايا على الجزائر. وتولى السلطة سنة ١١٣٦هـ/ ١٧٢٤م خلفا للداي محمد باشا بن حسن، (أنظر:
- أحمد توفيق المدني؛ محمد عثمان باشا، داي الجزائر (١٧٦٦- ١٧٩١)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦ ص ٤٩
و يوسف أمير؛ المرجع السابق، ص. ٨٢)

44 -Gabriel Colin,n°63,pp 99 et 100

٤٥ - الوكيل هو المسؤول على صيانة هذه المؤسسة، وتسيير مدخولها. وقد أورد ألبير ديفولكس في كتابه بعض وكلاء ضريح عبد الرحمن الثعالبي وهم: الحاج مصطفى بن واضح(١١٨٠هـ/١٧٦٦م/١٧٦٧م)، و محمد بن أحمد بن تركية(١٢٠٨هـ- ١٧٩٣م/١٧٩٤م)، الحاج محمد (١٢١٦هـ /١٨٠١م- ١٨٠٢م)، الحاج حميدة بن محمد المقايسي(١٢٢٩هـ- ١٨١٣م/ ١٨١٤م)، محمد بن رويلة (١٢٢٩هـ- ١٨١٣م /١٨١٤م)، حمود بن الشيخ سيد بلقاسم(جمادى ١٢٤٥هـ- ٨إلى ١٧نوفمبر ١٨٢٩م ، (أنظر؛-
41,42 (A. Devoulx, Op,Cit,pp.

46- A. Devoulx, Op,Cit,p.39

٤٧ - عبد العزيز لعرج؛« الكتابات الأثرية في البلاطات الخزفية بضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر». في مجلة الدراسات التاريخية، العدد الثالث، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، ١٩٨٧، ص ٢٦

إن للقبة دورا هاما في هندسة المعالم الدينية في المدينة أثناء العهد العثماني. و المعروف أن الميزة الأساسية للمساجد تكمن في أن قاعة الصلاة ذات شكل مربع، والقبة تعلو مركزها. ويرتكز عقد قبة مسجد سيدي عبد الرحمن مباشرة على قاعدة مسطحة الشكل. فتحت في قبة مسجد سيدي عبد الرحمن أربعة و عشرون نافذة.(صورة رقم ١)[٤٨]

والملاحظ أنه لا وجود للأروقة في مخطط المسجد، بينما حُملت عقود الزاوية مباشرة على الأعمدة الملتصقة بالجدار.

كما يحتوي المسجد على محراب معقود بعقد منكسر، متجاوز، مزخرف بمربعات خزفية. جلبت له من مصادر مختلفة أهمها البلاطات العثمانية ، وهي أجمل الأنواع جميعا، إلى جانب بلاطات خزفية أوروبية(ايطالية واسبانية) وتونسية [٤٩] (صورة رقم ٣)

وتعد البلاطات المرسومة بالكتابات في ضريح سيدي عبد الرحمن من أجمل البلاطات التي تتوفر عليها المعالم التاريخية، في الجزائر، في العهد العثماني[٥٠].وهي بلاطات مربعة وبلاطات مستطيلة، شكلت بها إطارات اللوحة ، أو البحور (الخراطيش) التي تزينها الكتابات. ومواضيع زخارفها هي: زخارف نباتية وزخارف كتابية، والزخارف الهندسية (صورة رقم ٤).

- **مئذنة ضريح سيدي عبد الرحمن:** (صورة رقم ٢)

يتجلى تطور خصائص فن المعمار الإسلامي، في مدينة الجزائر، من خلال بناء المآذن وزخرفتها.

وإنّ أهم ما يميز هذا المسجد الضريح، من الناحية المعمارية، مئذنته الفريدة في شكلها، ومحافظتها على صبغتها المغربية.

ويتبين ذلك من خلال مخططها المعماري، وهي فريدة أيضا من حيث العناصر المعمارية الزخرفية التي ازدانت بها.

وقد وصفها الأوروبيين في كثير من المواضع، لما تحمله من مميزات معمارية وحضارية وفنية. فوصف المؤرخ ب. بوايي مئذنة المسجد، كالتالي« هي مربعة الشكل، مؤطرة بعدّة صفوف من الأعمدة الصغيرة، تعلوها سلسلة من العقود، ومزخرفة ببلاطات خزفية مطلية بألوان مختلفة. تبدو المئذنة

---

[48] - Paul Guion, Op, Cit,p.49

[٤٩] - عزة بنت عبد الرحيم محمد بن شاهين؛ « الإبداع المعماري والفني في الأضرحة الجزائرية ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي نموذجا (٧٨٦- ٨٧٥هـ) (١٣٨٣-١٤٧٩م). ضمن أعمال ملتقى دولي بتلمسان ٢٠١١، تلمسان بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،ج١، ص ٢٧٦

[٥٠] - نفسه ، ص ٢٨٤

منتصبة، تتوسط شجر السرو »[٥١] . وتقع هذه المئذنة في الزاوية الشمالية الشرقية، وهي ذات قاعدة مربعة، يصل ارتفاعها إلى 14,10 م[٥٢]. أمّا عن المظهر الخارجي للمئذنة فقد أدمجت ثلاث واجهات ضمن مرافق المسجد، ولم يبق إلا الواجهة الجنوبية الشرقية التي حافظت على أجزائها كاملة، وهي مزدانة بأربعة حقول مستطيلة تفصل بينها مداميك من الآجر:

الحقل الأوّل: مستطيل مجوف من ثلاث حنايا على شكل عقد حدوة الفرس المنكسر، يعلو هذه القطعة إفريز من المربعات الخزفية.

الحقل الثاني: مكوّن من تقويسة على أعمدة صغيرة، وشُكلت العقود على هيئة مقبض القفة(d'anse de panier) ، والمجموع متوج بإفريز من المربعات الخزفية.

الحقل الثالث: مطابق تماما للحقل الثاني.

بينما توّج جوسق المئذنة بصف من إثني عشرة طنف(شرافة)، أربعة منها في الزاوية. أما النافوس فهو على شكل متوازي السطوح، مزخرف من جهته العليا بشريط من المربعات الخزفية، ومغطى بقبيبة بسيطة.[٥٣](صورة رقم ٢)

ويتبيّن مما تقدم أنّ بقاء عمارة ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي بأصالتها إلى يومنا هذا مرّده إلى القيمة العلمية والروحية لعبد الرحمن الثعالبي الموصوفة في كتب التراجم: بالشخصية العالمة، وهو الفقيه الأصولي الذي حقق مكانة علمية، وروحية في أوساط العامة و السلطة. فانتهى في الأخير من خلال مزارات الناس بالولي الصوفي.

و قد ساهمت السلطة العثمانية في الاهتمام بهذه المعالم ، و نمو عددها، و ذلك بتوفير المصادر المالية التي سمحت بصيانتها و حفظها من الاندثار، و قد كان الوقف من أهم هذه المصادر.

نموذج من الوثائق المصورة :

الملحق رقم ١: عقد تحبيس بتاريخ أوائل شعبان ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م. فاطمة بنت الحاج محمد الصباغ، حانوت خارج باب عزون قرب ضريح أبي التقا لصالح مسجد الولي عبد الرحمن الثعالبي.

---

[51] - P. Boyer; La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française, Hachette, Paris, 1964,p.80

[52]- p.40 Rachid Dokali; Les mosqueés de la période Turque à Alger,S.N.E.D, Alger, 1974,

[53] - Ibid,p.42

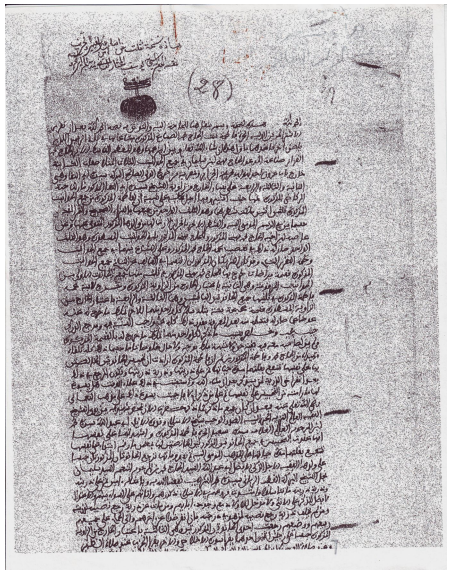

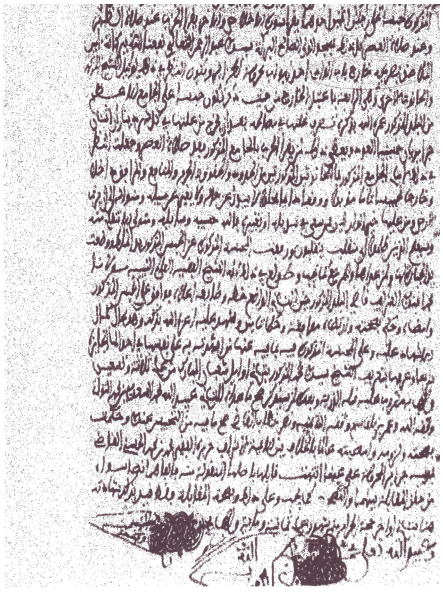

المصدر: المحاكم الشرعية: رقم العلبة ١٣٢- ١٣٣، رقم الوثيقة ٢٨

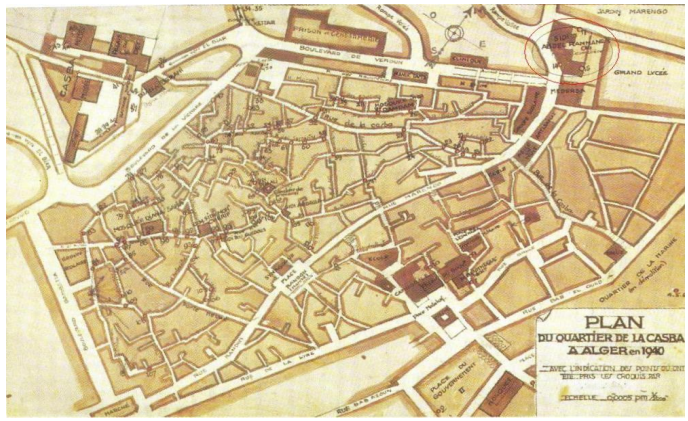

شكل رقم ١: موقع ضريح سيدي عبد الرحمن بالنسبة لمدينة الجزائر عن / (P. Guion)

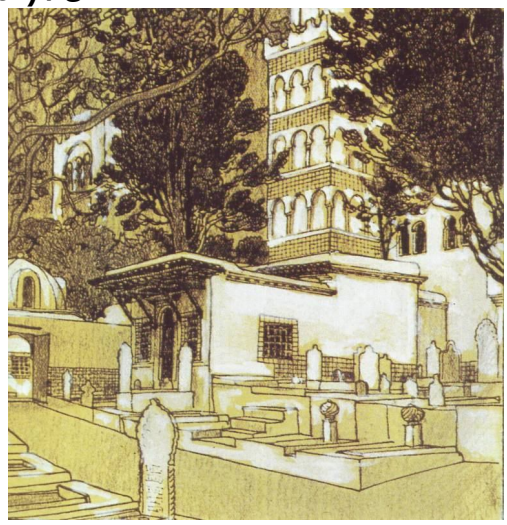

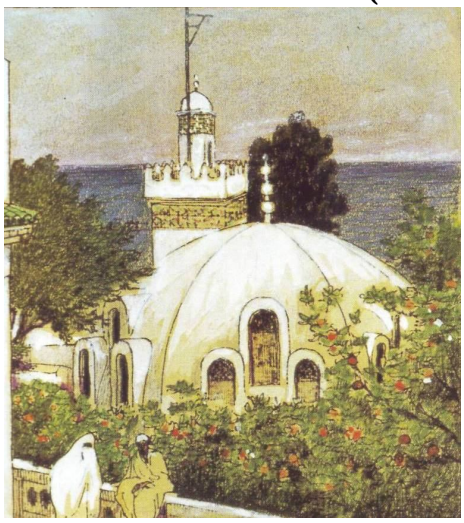

صورة رقم ١: ضريح سيدي عبد الرحم المركزية والمئذنة- عن/ (P. Guion)

صورة رقم ٢: المئذنة و المقبرة الموجودة القبة خارج ضريح سيدي عبد الرحمن عن/(P.Guion)

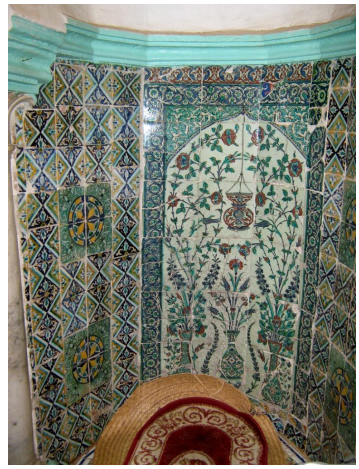

صورة رقم ٣:
محراب ضريح سيدي عبد الرحمن

صورة رقم ٤:
مربعات خزفية بزخرفة نباتية كتابية داخل قاعة الضريح

صورة رقم ٠٥: بعض الطقوس التي تمارس في ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي إلى يومنا هذا

قائمة المصادر والمراجع:

- المصادر:

- ابن خلدون عبد الرحمن؛ تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان العبر والمبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج٥، تحقيق خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠ .
- الزهار أحمد شريف؛ مذكرات أحمد شريف نقيب أشراف الجزائر(١١٦٨-١٢٤٦ هـ/١٧٥٤-١٨٣ م)، تحقيق، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ١٩٨٠ م.
- ابن ميمون محمد الجزائري؛ التحفة الملاضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١.

المراجع باللغة العربية:

- أمير يوسف؛ أوقاف البدايات بمدينة الجزائر وفحوصها من خلال سجلات المحاكم الشرعية (١٠٨١هـ- ١٢٤٦هـ/ ١٦٧١م- ١٨٣٠م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٩-٢٠١١.
- بودريعة ياسين؛ أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، مذكرة ماجستير تخصص تاريخ حديث، السنة الجامعية ٢٠٠٦-٢٠٠٧.
- سعد الله أبو القاسم ؛ تاريخ الجزائر الثقافي ١٨٣٠- ١٩٥٤، ج٥، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٥، ط.١٥
- ابن شاهين عزة بنت عبد الرحيم محمد ؛ « الإبداع المعماري والفني في الأضرحة الجزائرية ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي نموذجا (٧٨٦-٨٧٥هـ) (١٣٨٣- ١٤٧٩م). ضمن أعمال ملتقى دولي بتلمسان ٢٠١١، تلمسان بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،ج١، ص٢٦٩إلى ٢٨٨
- صاري أمينة سليمة؛ طبقات الفقهاء المالكية، من خلال مخطوط الجامع الكبير للعلامة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي(ت ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م)، مذكرة ماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، ٢٠١١-٢٠١٢.

- غطـــاس عائشـــة ؛ الحـــرف والحرفيـــون بمدينـــة الجزائـــر ١٧٠٠-١٨٣٠مقاربـــة اجتماعية- اقتصادية المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار- الرويبة.
- المـــدني أحمـــد توفيـــق ؛ محمـــد عثمـــان باشـــا، داي الجزائـــر (١٧٦٦- ١٧٩١)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦ .
- مريخـــي رشـــيد ؛ الجزائـــر فـــي عهـــد الـــداي مصـــطفى باشـــا ١٢١٢هـــ- ١٢٢٠هـــ/ ١٧٩٨م- ١٨٠٥م، مـــذكرة ماجســـتير فـــي التـــاريخ الحـــديث، قســـم التـــاريخ ، كليـــة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٠- ٢٠١١.
- نورالـــدين عبـــد القـــادر؛ صـــفحات فـــي تـــاريخ مدينـــة الجزائـــر مـــن أقـــدم عصـــورها إلى انتهاء العهد التركي، كلية الآداب الجزائرية، ١٩٦٥.

المراجع باللغة الأجنبية:

Boyer(P); La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française, Hachette, Paris, 1964.
Jacques Carret; Le maraboutisme et les confreries religieuses musulmanes en Algerie, Alger, 1959.
colin (G); Corpus des inscriptions Arabes et Turques de l'Algerie, Ernest Leroux, Paris, 1901

Dokali(R); Les mosqueés de la période Turque à Alger,S.N.E.D, Alger, 1974.
Paul Guion; La casbah d'Alger, Publisud, Paris, 1999.
Mouloud Gaid; l'Algerie sous les turcs; édition Mimouni, Alger, Hichem, 2eme edition,